مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

حوار الحضارات والأديان

الثابت والمتحول

Dialogue of civilizations and religions
fixed and variable

د. فضيل حضري[1*]

[1]**جامعة تلمسان– الجزائر–**

fodil_hadri@yahoo.fr

د. عبد المجيد عطار[2]

[2]**جامعة تلمسان – الجزائر –**

attar.abdelmadjid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/01 تاريخ القبول: 12/ 2023/02

ملخص:

فيما تعرف الإنسانية اليوم تطورات على جميع المستويات، ظهرت إشكالية متمثلة في بعدين متعارضين: أولهما: وجود أسباب ومظاهر متعددة للتعايش والسلام والمحبة والسعادة، ثانيهما: وجود أسباب ومظاهر أخرى كثيرة للتنافر والتناحر والتصارع والتصادم.

وليس من حل لهذه الإشكالية – على ما فيها من تناقض – سوى مزيد من التعارف والتعاون، والتقريب بين الاختلافات، ولا سيما النابعة من تباين الهويات. وهو ما لا يتأتى إلا بالحوار، بكل ما يتطلب من اعتراف بالآخر واحترامه وتبادل الأخذ والعطاء معه، في نطاق من الحرية يمس الفكر والتعبير عنه باعتبارهما في طليعة حقوق الإنسان.

الكلمات الدالة: الحوار، التعايش، الصدام، التعارف

* **المؤلف المرسل:** د.عبد المجيد عطار، **الايميل:** attar.abdelmadjid@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

While humanity today is witnessing developments at all levels, a problem has arisen represented in two conflicting dimensions:

The first: the existence of multiple causes and manifestations of coexistence, peace, love and happiness.

The second: the existence of many other causes and manifestations of disharmony, rivalry, conflict and collision.

There is no solution to this problem - in spite of the contradiction in it - other than more acquaintance and cooperation, and rapprochement between the differences, especially stemming from the divergence of identities. This can only be achieved through dialogue, with all that requires recognition and respect for the other and the exchange of give and take with him, within a scope of freedom that affects thought and expression as they are at the forefront of human rights

Keywords: Dialogue, coexistence, clash, acquaintance

مقدمة:

إذا كانت مجالات الحوار كثيرة، فلعل أهمها وأبرزها ما يتصل بالأديان وما فيها من قيم ومقومات، وخاصة ما يرتبط بالمعتقدات، علما أن للحوار ساحات منها الديني والدنيوي، والاجتماعي والثقافي والإعلامي والتربوي والأمني والبيئي والحضاري والاقتصادي والسياسي.

كيف يبدأ الحوار؟ وكيف يتأسس؟ ثم ما هي مساحة المشترك الحواري الواجب الوقوف عندها ضمن عنوان حوار الحضارات و الأديان؟

و السؤال الكبير: هل يمكن أن نتحدث عن تحالف قيمي أمام خطر إيديولوجيا النهايات وما أفرزته من قيم؟؟

هذه الأسئلة و غيرها ستشكل إجاباتها أهداف البحث المندرج ضمن سياق

الأزمات العالمية المعاصرة و الحلول المقترحة في ظل الحوار، حيث نتوخى الآتي:

- توضيح مفهوم ثقافة الحوار الحضاري.
- استيعاب الثابت في العملية الحوارية و المتغير منها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- التأكيد على أهمية الكرامة الانسانية في أي لقاء حواري.
- تجاوز نمطية التصنيف.
- التأكيد على ضرورة المثاقفة الإيجابية بدل ثقافة المركز و الأطراف.

1- الحوار: ثقافة اليوم و الغد !

اتسمت المجتمعات المتحضرة عبر الأزمنة بسمات تقدمية نوعاً ما، تميزها عن غيرها، في بعد الجوهر لا حرفية التسميات ،ضمن اعتبارات متنوعة، ومنها سيادة ثقافة الحوار بين أفرادها، وتنمية لغة الحوار في بعدها المعنوي، وتجسيده مادياً عبر مؤسسات للنهوض بلغته أو لنقل ممارسته في أشكال متنوعة، وانطلاقاً مما سبق فإن لغة الحوار تشكل بكافة أبعادها أدبيات وأطياف لغة إنسانية عالمية منذ فجر التاريخ ، " والإنسان يرنو لها ويبحث جاهداً عن أمومتها في الحرية واحترام الآخر في الحياة، فهي أبجديات في النسق الفطري الإنساني، وإن بقيت ساكنة في أعماقه لم تجد له مملكة حضور إلا في مساحة صغيرة في عجلة الزمان والتاريخ (سعاد جبر، 2005، ص:1) .

وعليه فإننا نلاحظ في هذه الأيام عبارات تتردد كثيراً تتمثل في الحوار، وثقافة الحوار، وروح الحوار، واحترام الرأي الآخر. يأتي كل ذلك ضمن سياق تطلع عالمي إلى مزيد من الحرية في ظل وجود مجتمعات متمدنة ومتحضرة تعيش الواقع وتتطلع إلى المستقبل، ولما كان المثقفون سباقين إلى فتح الحوار والشروع في نقد الواقع القائم بأدواته الخاصة، فإن ذلك يعزز لدى الكثيرين الأمل بإمكانية الانتقال من ثقافة الكسل العقلي الممل إلى ثقافة المدنية الحديثة (جاد الكريم الجباعي، 2001، ص: 18).

2- في أي زمن نعيش؟

أما اليوم، فقد أصبح في حكم المؤكد دور الثقافة المحوري في حلبة الصراع العالمي الجديدة، ومكانتها المتقدمة في الساحة الدولية، لقد تحدث السيد جاك شيراك في افتتاح مؤتمر اليونسكو الثالث و الثلاثين في أكتوبر 2001، وفي خطابه الرسمي حيث قال: "إن القرن التاسع عشر شهد صراع القوميات و القرن العشرين شهد صراع الايديولجيات، أما القرن الواحد و العشرين فإنه يشهد صراع الثقافات."(سالم العفوش، 2003ص:87).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لاشك أن الوجه الانساني للعالم اليوم وجه مخيف، يذكرنا بالصورة الأخرى ل: "دوريان غراي"، أو بصورة "فاوست" في رواية غوته الشهيرة حين باع نفسه للشيطان في سبيل الثروة و السلطان.

إن أزمة العالم اليوم تكمن في تغيراته السريعة ضمن حالات عدم التعين، و ليس أمام المجتمعات الانسانية إلا أن تختار بين : "صدمة المستقبل" أو تشكيل "ميثاق عالمي" مهمته مواجهة تحديات الأزمنة القائمة و القادمة.

3- حوار في زمن الصدام !!:

إن الهدف من حوار الحضارات و الأديان هو بلوغ الحرية والأمن والعدالة والرقي الروحي لأننا نواجه اليوم مسألة العولمة (منصور ممدوح محمود ،2003، ص: 25)، والتي في النهاية تستهدف إزالة التنوع الثقافي، وهذا عكس ما يدعو إليه الحوار الذي يرمي إلى الوصول إلى إدراك مشترك عن طريق تبادل المعاني والأفكار.

هناك من يتخذ مواقف معارضة للحوار، وهم المنهزمون دائما من الداخل، الذين يعيشون صدمة الانبهار بالآخر، و المستخفون بكل ما هو عربي؛ حيث الازدراء بالتراث و التعلق بأنماط الثقافة الأجنبية (سالم العفوش، 003، ص: 82). هؤلاء يعتقدون بعدم إمكانية تحقيق أي تقدم إلا عن طريق تقبل الثقافة الغربية، والذين يسدون الطريق أمام التغيير والتطوير، علما أن النّدّية شرط مهم للحوار لأنها تؤدي إلى عدم الإحساس بالدونية.

لقد طرح كثير من المفكرين مشكلة صدام الحضارات حتى جاء كتاب صدام الحضارات لصموئيل هنتغتون ليعطي المسألة بُعداً جاداً وليحول القضية إلى نظرية استراتيجية للعلاقات الدولية، وليطرح فكرة حتمية الصراع بين الحضارات، وقد ضاعف هذا الأمر الخوف من الإسلام وعودته إلى الساحة بعد سقوط الشيوعية وانتهاء ماكان يُعرف بالحرب الباردة(زكي الميلاد، 1999، ص: 55).

4- دعوة ذات أثر !!:

إن الدعوة إلى الحوار هي دعوة إلى الاعتراف بالجانب الروحي من الإنسان وتقوية الجانب السامي منه، وهذا أساس رسالات الأنبياء التي تجمع المعنوي والروحي كشرط لازم لسمو الإنسان.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن مهمة حوار الأديان و الحضارات أن يتحمل مسؤولية الكشف عن حقيقة ارتباط الدين بالحضارة وبالطاقة التي يضخها الدين في الانسان و الحياة. لتنشأ آثار تسمح بالدخول في عالم المعرفة : معرفة الذات؛ معرفة الهوية الشخصية، وقسم من معرفتنا يحصل بالمقارنة مع الآخر(محمد محفوظ ، 1998، ص: 99). والحوار يساعد على إدراك المشترك في الآفاق، ولو أُخليت الساحات للشعوب لدخل بعضها مع بعض في حوار يستهدف تحقيق مصالحها الإنسانية ولحلّت مشاكلها عن طريق التعارف والتفاهم،ضمن إطار من الندية والتكافؤ. أما الحوار من منطلق الضعف فهو العجز والاستلاب و الارتهان للآخر.

من هنا و على وقع رهانات اللحظة التاريخية؛ لا بد أن يتم استجلاء عظمة المجموعة الحضارية الإسلامية مادياً ومعنوياً وما يمكن أن تقدمه للبشرية. (محمد عبد الواحد حجازي ،2000، ص:77).

إن الحوار لا يعني الاستغناء عن القوّة بمعانيها المختلفة ؛ فلا مكان اليوم في العالم لغير الأقوياء.

5- مشكلات في الطريق :

و منهج التعارف في منظومتنا المفاهيمية يشترط شرطاً أساسياً؛ هو:التزام الأحسن من القول، و عدم سب وتجريح المعتقد، عدم الفوقية في الأسلوب والمنهج، عدم الإكراه، البر والقسط .

لكن الحوار في الوقت الراهن تعترضه مشكلات كثيرة من أهمها اضطراب الرؤى والتصورات وغياب مرجعيات الحوار،وتعدد منابره، وضعف الخبرة،والتنافس. فإنه أصبح من الضروري الحديث بمنهجية علمية حول الحوار،بشكل عام وحوار الحضارات بشكل خاص، و الأديان بصورة أخص.

عوائق كثيرة تحول دون قيام حوار إيجابي، ومعها متغيرات حالية يعرفها العالم. وهي تنذر بالمزيد من التناقضات والمشكلات، وخاصة ما يتعلق بصعوبة التعايش في سلام، مما يجعل الحاجة ماسة إلى تغيير هذا الواقع. ولا سبيل لهذا التغيير غير البدء بالحوار.

6- خطوة لا بد منها !!

الحوار أولا إذن. لكن لايزال السؤال التاريخي يتجدد، و عند كل واقعة يتكرر:

لماذا كل هذا التنافر بين المسلمين و أصحاب الديانات الأخرى؟ و لماذا الحوار متعثر

بين أصحاب الديانات الثلاث بالتحديد؟.

القراءة المتأنية قد تجعلنا نمسك بخيط الأزمة.. وتدفعنا للوقوف على جملة أسباب وسَعت الفجوة.. نذكر منها مثالا لا حصرا:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا: هناك عوائق من التاريخ ينبغي العمل على محو آثارها، وعلى رأسها الحروب الصليبية، والطرد من الأندلس، والاستعمار، ثم احتلال فلسطين.

ثانيا: واقع التخلف الذي يعانيه المسلمون، وهو تخلف لم يصنعه الغرب؛ و لكن حرصه و عمل، و لايزال، على ترسيخه.

ثالثاً: حالة الانطواء على الذات – نتيجة ذلك – وتمسك كل طرف بموقفه، في تجاهل متعمد للطرف الآخر.

رابعاً: إلى جانب هذه العوائق يوجد النزاع الخفي بين الإسلام والمسيحية، أو في الحقيقة بين المسلمين والمسيحيين. وهو في الأساس نابع من شعور كل طرف بقوته ومكانته وتاريخه وعدد أتباعه، مما يثير منافسة غير ظاهرة (عباس الجيراري، 2005، ص: 50).

7– سؤال المخرج:

و يكمن جوابه في ضرورة التواصل ابتداء. ولعل في سورة العصر ما يلخص المنظور الإسلامي للحضارة: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

التواصي بالحق والصّبر هو المرجع في معادلة التواصل. و الإسلام إنما يدعو إلى التواصل فقط لأنه يؤمن بالتعدد والتنوع، والآيات التي تتحدث عن ذلك كثيرة: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (سورة الروم، الآية 22) ، ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ الآية. هدف التواصل بالطبع هو التعارف والتعامل مع الآخر. ويقتضي التعارف جملة أشياء، منها التعايش والتسامح وتبادل المصالح والمنافع.

الحوار إذن مبدأ قرآني، بل يمكننا أن نقول؛ وبكل تأكيد: إن الإسلام دين الحوار بامتياز ومن جوانب متعددة. في المنطلق يكفي أن نتلو القرآن الكريم، وأن نستعرض لغته لكي نستخرج معجماً شاملاً متكاملاً كله يدور حول الحوار بما في ذلك مادّة الحوار نفسها، بحيث نجد الحديث عن التحاور وعن المجادلة وعن البرهان وعن الحجج، أي ما هو متصل بالحوار في شتى أشكاله. هذا أمر أول، الأمر الآخر نجد أن الله سبحانه في قرآنه، وهو يحثنا على أن نقبل الآخر ونتحاور معه ولا نغمطه حقه، يعطينا المثال بنفسه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

جلت قدرته، أنه يحاور الصالحين ويحاور غير الصالحين، ويخبرنا القرآن الكريم بأن الله سبحانه يحاور الأنبياء والملائكة وحتى الشياطين.

هذا الحوار الذي يدعو إليه القرآن الكريم غايته قديما وحديثا إحلال السَّلام بين البشر. وقضية السلام في القرآن هي أيضا قضية معروفة ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ (سورة الأنفال، الآية 61) ، ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السَّلم كافة﴾ (سورة الإسراء، الآية 70). الدعوة إلى السَّلام في القرآن لاتحتاج إلى بيان كبير لإبرازها وتبين إلحاح الإسلام عليها. المهم أن المنطلق و المقصد معا هما الكرامة الانسانية ﴿ولقد كرمنا بني آدم) (سورة الإسراء، الآية 70﴾†، والمنهجية: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. ثم:﴿قل هاتوا برهانكم﴾(سورة النحل، الآية :12).

8- حتى ينجح الحوار:

ما دام الحوار ضرورة حضارية و فريضة شرعية ، و ما دامت أزمة العالم اليوم أزمة قيم، إذا كان الأمر كذلك، فإنه لا بد من الاتفاق على مجموعة شروط يثمر على أساسها أي لقاء بين المتحاورين، نذكر منها:

أولاً: المعرفة الصحيحة.

ثانياً: عدم التعصب للاقتناعات والمسلمات والمواقف الذاتية.

ثالثاً: التحلي بالشجاعة لإثارة جوانب الخلاف الحقيقية، بعيداً عن تحاشيها أو التغافل عنها، أو مجرد ملامستها بسطحية واحتشام.

رابعاً: العمل على إزالة العوائق المعرقلة لأي تفاهم وتعايش، ولا سيما عائق احتلال فلسطين.

خامساً: مساعدة دول الغرب المسيحي للدول الإسلامية، أو بالأحرى عدم وضع العوائق والعراقيل في طريقها حين تشقه بجهودها الخاصة، كي تتغلب على ما تعانيه من فقر ومرض وجهل وما إليها من مظاهر التخلف، ثم كي تنهض وتمتلك مفاتيح التكنولوجيا المتطورة وما يرتبط بها من عوامل التقدم والرقي. (عباس الجيراري، مرجع سابق، ص: 60).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وإذا ما تحقق الحوار على هذا النحو، فإنه تلقائياً سيؤدي إلى تفاعل إيجابي لا يلبث أن يصبح حاجة ملحة يشعر بضرورتها كل طرف، لما يكتسبه من قيم جديدة يغني بها قيمه الخاصة، في تراكم ناجع يتجه نحو خط إنساني شامل وجامع يؤدي بدوره إلى تحقيق السلام وما يتصل به من غايات كونية مأمولة.

وحتى ينجح الحوار وفق هذا النهج القويم، فإنه لا بد له – إضافة إلى ما سبق – أن يتجاوز النقاش النظري التجريدي إلى مجال عملي تطبيقي ينطلق من الواقع ويسعى إلى معالجة أدوائه. وذلكم ما يستدعي أطراف الحوار إلى تناول القضايا العالقة المعكرة للأجواء، والحائلة دون أي تفاهم. وهي بالنسبة للعرب في علاقتهم مع الغرب ماثلة في مشكلات مزمنة وطارئة يمكن إجمالها فيما يلي:

1 - تحرير فلسطين وإقامة دولة مستقلة فيها تكون عاصمتها القدس الشريف، وإنهاء احتلال الدول الإسلامية التي لا تزال تحت سيطرة بعض قوى الغرب..

2 - إزالة كل الأوهام التي رسخها الغرب في ذهنه حول العرب والمسلمين، ولا سيما ما ألصق بهم وبدينهم من تهمة الإرهاب.

3 - تنقية الذاكرة مما يشوبها عبر التاريخ القديم والحديث من مآس وأزمات.

4 - رفع الموانع الظاهرة والخفية التي تحول دون تمكن العرب من أدوات صنع التقدم وامتلاكها للأخذ بأسبابه الحقيقية، وليس فقط لاستهلاك بعض منتجاته. عباس الجيراري، 2005، ص: 60).

خاتمة:

إننا اليوم بحاجة لأن نعيد ترتيب أوراقنا و أولياتنا، و رسم خريطة أفكارنا، ضمن رؤية تسمح لنا أن نقول للعالم كله أننا شركاء في هذا العالم، و من حقنا أن يكون لنا كما لغيرنا رأي، وأن آراءنا يجب أن تسمع. كل هذا في إطار من الاحترام و الإحساس بالكرامة الإنسانية.

و حتى نصل إلى تلك اللحظة، ينبغي أن نستوعب جملة أمور؛ نذكر منها:

– شمولية النظرة في العلاقة مع الآخر حتى يكون الحوار الناجح، ولذا ينبغي أن يعتمد الحوار مع الآخر على استراتيجية واضحة تحمي تماسك الأمة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

– الإسلام اعترف بالآخر، والاختلاف باقٍ ما بقي البشر، وينبغي أن نتعرف على الآخر القريب والبعيد، ونسلك طريق الحوار للفهم والتعايش المشترك.

– اعتماد شعار الرحمة والعدل في تعاملنا مع الآخر، والتعامل على مستوى الفرد والجماعة تحت شعار قوله تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

– نظراً لأهمية الفتوى في علاقتنا مع الآخر فإن المطلب هو الالتزام بمرجعية واحدة للفتوى في الأمة.

– تطوير الأنظمة الاقتصادية والقوانين التجارية وتحديثها بما يواكب المتغيرات الحالية، حتى يكون الحوار في إطار من الندية لا التبعية.

– تضمين مهارات تعليم الحوار والعلاقة مع الآخر، والتوكيد على دور الأسرة والمدرسة في غرس هذه القيم في وقت مبكر.

– بين الحضارات والثقافات قواسم مشتركة و اختلافات قائمة؛ والتعاون في المشترك وفهم أوجه الاختلاف فلسفة في الوعي، على الجميع استيعابها و ممارستها.

أخيرا..إن ثقافة الحوار لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعة الثقافي أو السياسي، إنما هو لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها والانطلاقة منها مجدداً و معاً في النظر إلى الأمور . و" إن عظمة أي ثقافة في انفتاحها وقدرتها على تحقيق مفهوم النقد في مسيرتها، فثمة أشياء ومعارف عديدة يتم الاستفادة منها من جراء الانفتاح والتواصل والحوار"(محمد محفوظ ،2005، ص:2).

مراجع البحث:

1- جاد الكريم الجباعي: " من الثقافة الجماهيرية إلى الثقافة المدنية، مجلة ثقافة الحوار، عدد 12، 2001

2-زكي الميلاد: المسألة الحضارية. المغرب: المركز الثقافي العربي، 1999

3- سالم العفوش: مخاطر الهيمنة الثقافية: ثقافة القوة أو قوة الثقافة. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة،2003

4-سعاد جبر: " الحوار المتمدن "، مجلة الحوار، العدد 1396، 2005

5- السيد ولد أباه: وهم صدام الحضارات، جريدة الشرق الأوسط،29 سبتمبر 2001

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

6- عباس الجيراري: مقالات في الحوار. المغرب: مطبعة الأمنية،2008

7- محمد عبد الواحد حجازي: الثقافة العربية و مستقبل الحضارة. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر،2000

8- منصور ممدوح محمود: العولمة: دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد. الاسكندرية: دار الجامعة الجديدة،2003.

9- محمد محفوظ: الإسلام، الغرب، وحوار المستقبل. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1998.

10- محمد محفوظ: " الحوار الوطني وآفاق الوحدة الوطنية، مجلة التجديد العربي، عدد 102،2005

11-موريس أبو ناضر: أفكار جديدة لعالم جديد. لبنان: المركز الثقافي العربي، 1995